

١١

الأدب مع الله عز وجل

عبد العزيز سيد هاشم





قصص آداب الإسلام

١١

قصص الآداب مع الله عزوجل

إعداد

عبد العزيز سيد هاشم

الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

رقم التسلسل ٥٨

سورية - دمشق - حلبوني - ص.ب ٢٥٢٣٧

فاكس : ٢٤٥٤٠١٣ ١١ ٩٦٣+ هاتف ٢٤٥٣٦٣٨ ١١ ٩٦٣+

algwthani@scs-net.org



مَشِيئَةُ اللهِ

جَاءَ رجلٌ إلى رسُولِ اللهِ ﷺ يُكلِّمُهُ فِي بعضِ أُمورِهِ، ثُمَّ قَالَ الرَّجلُ لِلرَّسُولِ ﷺ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئتَ.

فَغضبَ الرَّسُولُ ﷺ مِنْ كَلِمةِ الرَّجُلِ، وَبيَّنَ لَهُ أنَّ المَشِيْئَةَ لاَ تكُونُ إلاَّ للهِ وَحْدَهُ، فَقالَ لَهُ: «أَجَعَلْتَنِي للهِ عَدْلاً (مُسَاوِياً ومُعَادِلاً)؟! بَلْ شاءَ اللهُ وَحْدَهُ» [البيهقي].

فَالمُسْلِمُ يُقِرُّ للهِ عزَّ وجلَّ بأنَّهُ الإلَهُ الوَاحِدُ الأَحَدُ؛ لِذلَكَ فهُوَ يُنزِّهُهُ ـ سُبحانَهُ ـ عَنْ كُلِّ شَرِيْكٍ، وَيَتَحَرَّى التَّوحِيْدَ حتَّى فِي أَدَقِّ كَلاَمِهِ؛ لأَنَّ الشِّرْكَ رُبمَّا تَسلَّلَ إِلَى الإِنسَانِ مِنْ حيثُ لاَ يَدْرِيْ، بِكَلِمَةٍ أَو عَمَلٍ صَغيرٍ.

علَى المسلمِ أَنْ يُوقِنَ بأنَّهُ لاَ إِلهَ إلاَّ اللهُ، فَلاَ رَازِقَ وَلاَ مُحْيِيْ وَلاَ مُمِيْتَ وَلاَ مُعِزَّ وَلاَ مُذِلَّ وَلاَ قَادِرَ إِلاَّ هُوَ سُبْحانَهُ وَتَعالَى.

فَأَيْنَ اللهُ؟!

خَرَجَ عبدُ اللهِ بنُ عُمَرَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ ومعَهُ بعضُ أصحابِهِ في ناحيةٍ مِنْ نَواحِي المَدِيْنةِ، فَاشتَدَّ عَلَيهِمُ الحَرُّ؛ فَجَلَسُوا يَأْكُلُونَ، فمَرَّ بِهِمْ رَاعِي غَنَمٍ، فَألقَى عَليهِمُ السَّلامَ. فَنادَاهُ ابنُ عُمَرَ لِيَأْكُلَ، فَقالَ الرَّاعِي: إِنِّي صَائِمٌ، فَتَعَجَّبَ ابنُ عُمَرَ وَسَأَلَهُ عَنْ سِرِّ صِيامِهِ فِي هَذَا اليَومِ الحَارِّ، فَأَخبَرَهُ الغُلامُ أَنَّهُ يَتَزَوَّدُ مِنَ الدُّنْيَا بالعَمَلِ الصَّالِحِ الَّذي يَنفَعُهُ فِي الآخِرَةِ. فَعَرَضَ عليهِ ابنُ عُمَرَ أنْ يَشتَرِيَ مِنْهُ شاةً وَاحِدةً.

فَقالَ الرَّاعِي: إِنَّهَا غَنَمُ سَيِّدِي. فَقالَ ابنُ عُمَرَ مُختَبِراً: إنْ سَأَلَكَ عَنْهَا فَقُلْ لَهُ: أَكَلَهَا الذِّئبُ.

فَتَرَكَهُ الرَّاعِي وهُوَ يَقُولُ: فَأَينَ اللهُ؟ تَأَثَّرَ ابنُ عُمَرَ بِكَلامِ الرَّاعِي، فَأخذَ يَبكِي وَيقُولُ: فَأينَ اللهُ؟

ثُمَّ قَدِمَ ابنُ عُمَرَ المَدِينةَ فَأَرْسَلَ إلى سَيِّدِ الرَّاعِي، وَاشتَرَى مِنْهُ الغَنَمَ والرَّاعِي، ثُمَّ أَعتَقَ الرَّاعِي، وَوَهَبَ لهُ الغَنَمَ. [البيهقي].

المُؤمِنُ يُراقِبُ اللهَ على الدَّوامِ، ويَتذكَّرُ قولَ اللهِ تَعالَى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤].

تَنْزِيهُ اللهِ

بَعَثَ رسُولُ اللهِ ﷺ سَرِيَّةً، وكانَ إمَامُهُمْ يَقرَأُ في الصَّلاةِ بِسُورةِ الإخلاصِ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ في كُلِّ ركْعةٍ بعدَ أن يَقرأَ الفاتِحةَ والسُّورةَ التي بعدَهَا.

فلَمَّا رَجَعُوا إلى المدينةِ ذَكَرُوا ذلكَ لِرسولِ اللهِ ﷺ، فَقالَ لَهُمْ: "سَلُوهُ لأيِّ شَيءٍ يَصنَعُ هذَا؟".

فَسَأَلُوهُ عَنْ سببِ ذلكَ، فَقالَ الرَّجُلُ: لأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحمَنِ، فَأَنَا أُحِبُّ أَن أَقرأَهَا.

فَقالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: "أَخبِرُوهُ أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يُحِبُّهُ" [متفق عليه].

مِنَ الأدبِ معَ اللهِ أنْ نَدْعُوَهُ ونُنَاجِيَهُ بأسمائِهِ الحُسْنَى، وَأَنْ نُنقِّيَ قُلوبَنَا، ونُخْلِصَ فِي أعمالِنَا للهِ سُبحانَهُ وتَعالَى.

عَهْـدُ اللهِ

لَمْ يَحضُرِ الصَّحَابيُّ الجَليلُ أَنَسُ بنُ النَّضْرِ رضـي الله عنـه غَـزْوَةَ بَدرٍ، فَقالَ للرَّسـولِ ﷺ: يَـا رَسُـولَ الله غِبْـتُ مِـنْ أوَّلِ قتـالٍ قَاتَلْـتَ المُشركِينَ فيهِ، لَئِنِ اللهُ أَشهَدَنِي قِتالَ المُشركِينَ لَيَرَيَنَّ مَا أَصنَعُ.

فلَمَّا جَاءَتْ غَزوَةُ أُحُدٍ، وَانكَشَفَ المُسلِمُونَ فِي المَعركَةِ، تَقَـدَّمَ نحَو صُفُوفِ المُشرِكِينَ، وهُوَ يَقـولُ: الجنَّـةَ وَرَبِّ الكَعبـةِ، إنِّـي أَجِـدُ رِيْحَهَا مِنْ دُونِ أُحُدٍ.

وَقاتَلَ أَنسٌ قِتالاً شَدِيداً حتَّى استُشهِدَ فِي سبيلِ اللهِ.

وبَعدَ المَعركَةِ، بَحَثُـوا عَنْـهُ فِـي القَتْلَـى فَوَجَـدُوهُ شَـهِيداً، بـهِ بِضْـعٌ وَثمَانُونَ جُرْحًا؛ مِنْ ضَرْبَةٍ بالسَّيفِ وَطعْنَةٍ بِالرُّمحِ وَرميَةٍ بِالسَّهمِ، ولَمْ يَعرِفْهُ أَحَدٌ مِنْ كَثْرةِ جُروحِهِ؛ إلاَّ أختُهُ عرَفَتْهُ بِعَلاَمَةٍ في إِصبَعِهِ [متفق عليه].

ونَزَلَ فيهِ وفِي أَصحابِهِ قَولُ اللهِ تَعالَى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب:٢٣].

الأَدَبُ معَ اللهِ أَنْ نُحِبَّهُ ونَبذُلَ أرواحَنَا في سَبِيلِ نُصْرَةِ دِينِهِ. قَالَ تَعالَى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ [التوبة:١١١].

كَـلامُ اللهِ

ذَاتَ يَومٍ، قَالَ النَّبيُّ ﷺ لعبـدِ اللهِ بـنِ مَسـعودٍ رضـي الله عنه : «اقرأْ عَليَّ القُرآنَ».

فَقالَ ابنُ مَسعودٍ: يَـا رسُـولَ اللهِ! أَقـرأُ عليـكَ، وَعلَيـكَ أُنزِلَ؟

فَقالَ النَّبيُّ ﷺ : «إنِّي أُحِبُّ أَنْ أسمَعَهُ مِنْ غَيرِي».

فَقرأَ عبدُ اللهِ بنُ مَسعودٍ سُورةَ النِّساءِ، حتَّى وصَلَ إلى قَولِ اللهِ تَعالَى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤٠].

فَقالَ لَهُ النبيُّ ﷺ : «حَسبُكَ الآنَ».

فَالتفَتَ إليهِ ابنُ مَسعودٍ، فوجَـدَ النَّبيَّ ﷺ يَبْكِـي وَعينَـاهُ تذرِفَانِ الدُّموعَ. [متفق عليه].

المُسلمُ يُحبُّ أنْ يَسمَعَ القُرآنَ، ويُداوِمُ علـى قِراءَتِـه. قَـالَ النَّبيُّ ﷺ: «اقرَءُوا القُرآنَ فإنَّهُ يأتِي يَومَ القِيامةِ شَفيعاً لأصحابِهِ» [مسلم].

تَقوَى اللهِ

دَخَلَ ثَلاثةُ رجَالٍ، فِي غَارٍ مِن أجلِ المَبيتِ، فَانحدَرَتْ صَخرةٌ كَبيرةٌ مِنْ أعلَى الجبَلِ وَسدَّتْ بَابَ الغَارِ. ولَـمْ يَسـتَطِيعُوا دَفْعَ هـذهِ الصَّخرةِ، فَتوجَّهُوا إلى اللهِ سُبحانَهُ يَدْعونَهُ بِصَالحِ أعمـالِهِمْ. ونَـاجَى الثَّالثُ ربَّهُ بأنَّهُ كانَتْ لَهُ ابنةُ عَمٍّ يُحِبُّهَا حُبّاً شَـديداً، وَعنـدَمَا أصـابَهَا الفَقْرُ، وَاحتاجَتْ إلى المالِ، ذَهبَتْ إليه، لِتَطلُبَ مِنْـهُ مَـالاً، فَوافَـقَ مُقابِلَ فِعْلِ الفَاحِشَةِ، فَرفَضَـتْ وَانصـرَفَتْ، لكنَّهَـا لَـمْ تجِـدْ أحَـداً يُعطِيْهَـا، فَعـادَتْ إليـهِ مُضـطرَّةً، فلَمَّـا أغلَـقَ الأبـوابَ ذكَّرَتْـهُ بـاللهِ سُبحانَهُ، وَقالَتْ لَهُ: اتقِّ اللهَ. فَتـذكَّرَ اللهَ سُـبحانَهُ، وَعـادَ إلى صَـوَابِهِ وتَرَكَهَا وَأعطَاهَا المالَ، خَوفاً مِنَ اللهِ سُبحانَهُ.

ثُمَّ قَالَ: اللَّهمَّ إنْ كُنتُ فَعلْتُ ذلكَ ابتِغاءَ وَجْهِكَ فَأفرِجْ عنَّا مَـا نحنُ فيهِ، فَاستَجَابَ اللهُ دُعَاءَهُ وَتزَحْزَحَتِ الصَّخْرةُ، وَخـرَجَ الثَّلاثـةُ مِنَ الغَارِ. [البخاري].

المسلِمُ يَلجَأُ إلى اللهِ سُبحانَهُ، وَيطلُبُ مِنْهُ العَوْنَ، يَقولُ تَعالَى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾. [النمل:٦٢].

تَصديقُ الكِتَابِ

نَزَلَ قولُ اللهِ تَعالَى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١] وَأَمَرَ اللهُ المسلِمَاتِ بالحِجَابِ.

ذَهَبَ رِجَالُ الأَنصارِ إلى نِسائِهِمْ يَتلُونَ عَليهِنَّ كلامَ اللهِ؛ كلُّ رَجُلٍ يَقرأُ الآياتِ علَى زوجتِهِ وابنتِهِ وأُختِهِ وأقربائِهِ.

فمَا مِنْهُنَّ امرأةٌ إلاَّ وَأسرَعَتْ بالحِجَابِ ولَفَّتْ رأسَهَا وصَدرَهَا بمَا عِندَهَا مِنْ ثيابٍ، وذَلِكَ تَصديقاً وَإيمَاناً بِمَا أنزَلَ اللهُ مِنْ كِتابِهِ.

وقَدْ أَثنَتْ عَليهِمُ السَّيِّدةُ عَائِشةُ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ـ فَقالَتْ: وإنِّي وَاللهِ مَا رأيتُ أفضَلَ مِنْ نِساءِ الأَنصَارِ أَشَدَّ تَصدِيقاً لكِتَابِ اللهِ وَإيمَاناً بِالتَّنزِيلِ.[ابن كثير].

المُسلِمُ يُنفِّذُ أوامِرَ اللهِ دُونَ تَرَدُّدٍ، قَالَ تَعالَى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [النور: ٥١].

اللهُ المالِكُ

فَتحَ المُسلِمُونَ مصرَ بقيادةِ عَمْرِو بنِ العَاصِ رضي الله عنـه، وبعدَ فترةٍ قَلَّ ماءُ نهرِ النَّيلِ. فَجاءَ المصريُّونَ إلى عَمْرِو بنِ العَـاصِ يَستَأذِنُونَهُ أَنْ يَفعَلُوا عَادَتَهُمُ السَّنويَّةَ (وَهِـيَ أَنَّهُـمْ يُحضِـرُونَ فتـاةً جَميلةً، ويُلبِسُونَهَا أفضَلَ الثِّيابِ وَالحُلِّيِّ، ثُمَّ يُلقُونَهَا فِـي النِّيـلِ)، فَرَفَضَ عَمْرٌو، وبَعَثَ برِسَالةٍ إلى أميرِ المُؤمنينَ يُخبِرُهُ بِمَا حَـدَثَ، فَأرسَلَ إليهِ أميرُ المُؤمنِينَ، قَائلاً: قَدْ أَصَبْتَ، إنَّ الإِسلامَ يَهدِمُ مَـا قبلَهُ، كمَا أَرسَلَ إليهِ بِطاقةً أُخرَى لِيُلقِيَهَا فِي النِّيلِ.

فَفَتَحَ عَمْرٌو البِطاقةَ فإذَا مكتوبٌ فِيهَا: «مِنْ عبدِ اللهِ عُمَرَ أمـيرِ المؤمنِينَ إلى نيلِ مِصرَ، أمَّا بعدُ، فَإنْ كُنتَ تَجرِي مِـنْ قِبَلِـكَ فَـلاَ تَجرِ. وإنْ كانَ الواحِدُ القَهَّارُ يُجْرِيْكَ؛ فَنَسأَلُ اللهَ الواحدَ القهَّـارَ أَنْ يُجرِيَكَ».

فَألقَى عَمْرُو بنُ العَاصِ الرِّسالةَ فِي النِّيلِ، فإذَا بـاللهِ سُـبحانَهُ يُجْرِي الماءَ فِي النِّيلِ، حتَّى كَثُرَ وَفَاضَ.

المُسلِمُ لاَ يَسألُ أَحَدًا إلاَّ اللهَ، وَلاَ يَسـتَعِينُ بأحَـدٍ إلاَّ بـاللهِ، قـالَ ﷺ: «..إذَا سَأَلْتَ فاسأَلِ اللهَ، وإذَا استَعَنْتَ فَاستَعِنْ باللهِ..» [الترمذي].

اللهُ الشَّافِي

دَخَلَ عبدُ اللهِ بنُ مَسعودٍ رضي الله عنه ذَاتَ يَومٍ علَى زوجتِه، فَرأى فِي عُنُقِهَا خيْطًا، فَقالَ لهَا: مَا هـذَا؟ قَالَتْ: خَيْطٌ رُقِيَ لِيْ فيهِ (أي أنَّهَا تلبَسُهُ كَرُقْيَةٍ لِلشِّفاءِ مِنَ المَرضِ وَمنْعِ الأخطارِ).

فَأخَذَ ابنُ مسعودٍ الخَيطَ، وَقطَّعَهُ وقَالَ لزَوْجَتِهِ: أَنْتُمْ ـ آلَ عبد اللهِ ـ لأغنياءُ عَنِ الشِّرْكِ، سَمِعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «إنَّ الرُّقَى (مَا كانَتْ مِن أمرِ الجاهليَّةِ) والتَّمَائمَ والتِّوَلَةَ (نوعَانِ مِنَ السِّحْرِ) شِرْكٌ»، فَأخبرَتْهُ أنَّ عَيْنَهَا الدَّامعةَ كانَتْ تَسكُنُ عندَمَا يُرْقِيهَا اليَهودِيُّ. فَقالَ ابنُ مُسعودٍ: إنَّمَا ذلكَ مِنْ عمَلِ الشَّيطانِ، كانَ ينخَسُهَا (يلمَسُهَا) بيَدِه، فإذَا رَقَاهَا كَفَّ عنْهَا، إنَّمَا كانَ يكفيْكِ أنْ تقُولِي كمَا كانَ رسُولُ اللهِ ﷺ يقولُ: «أذهبِ البأسَ رَبَّ النَّاسِ، وَاشْفِ أنتَ الشَّافِي، لا شِفَاءَ إلاَّ شِفاؤُكَ، شِفاءً لا يُغادِرُ سَقَماً» [ابن ماجة والحاكم].

مِنَ الأدبِ معَ اللهِ أنْ يعتَقِدَ المُسلِمُ اعتقَاداً كَامِلاً بأنَّ الشِّفَاءَ مِنْ عندِ اللهِ وحدَهُ، قَالَ اللهُ تَعالَى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠].

التَّوكُّلُ علَى اللّهِ

كَانَ النَّبيُّ ﷺ جَالِساً معَ أصحابِهِ فَقالَ لَهُمْ: «عُرِضَتْ علَيَّ الأُمَمُ فَرأيتُ النَّبيَّ ومَعَهُ الرَّهْطُ (الجمَاعةُ القَليلةُ)، والنَّبيُّ ومعَهُ الرَّجُلُ والرَّجُلانِ، والنَّبيُّ ليسَ معَهُ أحَدٌ، إذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظيمٌ (رأى أشخَاصًا كَثيرِينَ) فَظَنَنتُ أنَّهُمْ أُمَّتِي، فَقِيلَ لِي: هـذَا مُوسَى وقَومُهُ، ولَكِنِ انظُرْ إلى الأُفقِ، فَنظَرْتُ فإذَا سَوَادٌ عَظيمٌ، فَقيلَ لِي: انظُرْ إلى الأُفُقِ الآخَرِ. فإذَا سَوَادٌ عَظيمٌ، فَقِيلَ لِي: هذهِ أُمَّتُكَ ومَعَهُمْ سَبعونَ ألفاً يَدخُلُونَ الجنَّةَ بِلاَ حِسابٍ ولاَ عَذابٍ».

فَأخذَ النَّاسُ يَتحدَّثُونَ عَنْ هـؤلاءِ السَّبعِينَ ألفاً، فَأخبَرَهُمُ النَّبيُّ ﷺ بصِفَاتِهِمْ، فَقالَ: «هُمُ الذِينَ لاَ يَرْقُونَ ولاَ يَسْتَرْقُونَ (أيْ برُقْيَةِ الجاهِليَّةِ) ولاَ يَتَطيَّرُونَ (لا يَتَشَاءَمُونَ) وعلَى ربِّهِمْ يتوكَّلُونَ»، فَقَالَ عُكَّاشَةُ بنُ مُحصِنٍ: ادْعُ اللهَ أنْ يَجعَلَنِي مِنْهُمْ. فَقالَ ﷺ لَهُ: "أنتَ مِنْهُمْ". ثُمَّ قَامَ رَجلٌ آخَرُ فقَالَ: ادْعُ اللهَ أنْ يَجعَلَنِي مِنْهُمْ. فَقالَ ﷺ: "سَبقَكَ بهَا عُكَّاشَةُ» [متفق عليه].

المتَوكِّلُ على اللهِ: الذِي يعلَمُ أنَّ اللهَ كافِلُ رِزْقِهِ وأمرِهِ، فَيَركَنُ إليهِ وَحْدَهُ ولاَ يتوكَّلُ على غَيرِهِ.

قَسَمٌ فِي غَيرِ مَحلِّهِ

كَانَ لرَجُلٍ علَى رَجُلٍ آخرَ دَيْنٌ، فَجاءَ يَطلبُهُ، فَسأَلَهُ المَدينُ أنْ يَرْفُقَ بهِ، فَيضَعَ عنْهُ بعضَ الدَّيْنِ وَيأخُذَ بعضاً؛ لِعَجْزِهِ عنْ سَدَادِ جَمِيعِ الدَّيْنِ.. فَرَفَضَ، وَارتفعَتْ أَصواتُهُمَا، وَحلَفَ صاحِبُ الدَّينِ باللهِ قَائلاً: وَاللهِ لاَ أَفعَلُ.

وَسمِعَهُ النَّبيُّ ﷺ فَقالَ: «أينَ المتَأَلِّي علَى اللهِ، لاَ يَفعَلُ المَعروفَ (أَي: أينَ الحالفُ المُبالغُ فِي اليَمينِ؟)».

فَقالَ الرَّجلُ: أَنَا يَا رسُولَ اللهِ. وَأحسَّ بخطَئِهِ، وَرَجَا ألاَّ يَغضَبَ عَليهِ رَسولُ اللهِ ﷺ فَأسرَعَ يَقولُ لَهُ: أَيُّ ذلِكَ أَحَبُّ (أَي: لِلمَدينِ أَنْ يختارَ أَحَبَّ الأَمرَينِ إِليهِ: إمَّا أَنْ يضَعَ عنْهُ مَا عجزَ عنْهُ منَ الدَّينِ، أَو أنْ يضَعَ عنْهُ مقداراً من أَصلِ الدَّينِ). وَإنَّما فعَلَ ذلِكَ رُجُوعاً إلى الحَقِّ، وَاستِرْضَاءً لأَخيهِ، وَطاعةً للهِ ولرسولِهِ ﷺ. [متفق عليه].

مِنَ الأدبِ معَ اللهِ أَنْ لاَ يُقسِمَ الإنسانُ أنَّهُ لنْ يفعَلَ الخيرَ، قَالَ تَعالَى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ٢٢٤].

سَمِعْنَا وَأطعْنَا

نَزَلَ قولُ اللهِ تَعالَى: ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٨٤].

فَأسرَعَ الصَّحابةُ إلى رسُولِ اللهِ ﷺ وَقَالُوا: يَا رسُولَ اللهِ! كُلِّفْنَا منَ الأَعمالِ مَا نُطيقُ؛ الصَّلاةُ والصِّيامُ والجهادُ والصَّدَقةُ، وقَدْ أُنزِلَتْ عَليكَ هذهِ الآيةُ وَلا نُطيقُهَا. فَقالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: «أتريدُونَ أن تقولُوا كمَا قَالَ أهلُ الكِتابَينِ قَبلَكُمْ: سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا؟ بَلْ قُولُوا: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾».

فَأقَرَّ بِهَا الصَّحابةُ، وظَلُّوا يُرَدِّدُونَهَا ويُكثِرُونَ مِنْهَا، فَنزَلَ قَولُ اللهِ تَعالَى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥]. فَعلَّمَ الرَّسُولُ ﷺ الصَّحابةَ أدبَ الطَّاعةِ لأوامرِ اللهِ. [مسلم].

تحدَّثَ النَّبيُّ ﷺ عمَّا يُصيبُ المُسلِمَ مِنْ خَيرٍ أو شَرٍّ، فَقالَ: «إنْ أصابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فكانَ خَيراً لهُ، وإنْ أصابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فكانَ خَيراً لهُ» [مسلم].

اللهُ مَعَنَا

هَاجَرَ رسُولُ الله ﷺ مِنْ مكَّةَ إلى المَدينةِ، ورَافقَهُ فِي الهِجرَةِ أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه وكَانَ المُشـرِكُونَ يَتعقَّبُـونَ الرَّسُـولَ ﷺ ويَبحثُونَ عَنْهُ، فَلجأ الرَّسُولُ وأَبُو بكرٍ إلى غارِ ثَورٍ، وبَقِيَا فيـهِ ثَلاثةَ أيَّامٍ حتَّى يَئِسَ المُشرِكُونَ مِنَ اللَّحَاقِ بِهِمْ.

وظَلَّ المُشرِكُونَ يَبحَثُونَ عَنْهُمَا فِي كُلِّ مكَانٍ حتَّى وصَلُوا إلى غارِ ثَورٍ، ووَقفُوا أمامَ الغَارِ، فَخافَ أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه علَى رسُولِ الله ﷺ، وقَالَ لَهُ: يَا رسُـولَ الله! لَـو أنَّ أحَـدَهُمْ نظَـرَ تحتَ قدَميهِ لأَبْصرَنَا.

فَطَمْأنَهُ النَّبيُّ ﷺ وقَالَ لَهُ: «مَـا ظَنُّـكَ يَـا أَبـا بكـرٍ بـاثنَيْنِ اللهُ ثَالثُهُمَا؟!».

وكانَ سُبحانَهُ وتَعالَى مَعَهُمَا، فَأعمَى عَنْهُمَا أعيُنَ المُشرِكِينَ، ورجَعُوا مِنْ حَيثُ أَتَوا، ووَصَلَ الرَّسُولُ ﷺ وصاحِبُهُ إلى المدينـةِ بسَلامٍ. [متفق عليه].

الأدَبُ معَ الله أنْ نَثِقَ في أنَّهُ معنَا دَائماً، وأنْ نتوكَّلَ عليهِ ليحفَظَنَـا مِـن كُلِّ سُوْءٍ، وأنْ نُراقِبَهُ في كُلِّ تصرُّفاتِنَا، ونَخشَاهُ في السِّرِّ والعَلَنِ.

المُرَاقبَةُ

خَرَجَ أميرُ المؤمنينَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ رضي الله عنه يتفَقَّـدُ أحوَالَ المُسلِمينَ ليلاً، فَسَـمعَ حِـوَاراً بـينَ أُمٍّ وَابنتِهَـا، قَالَـتِ الأمُّ: قُـومِيْ إلى اللَّـبنِ فَاخلُطِيـهِ بالمـاء، فَقالَـتِ البِنـتُ: لَقَـدْ سَمِعتُ مُنادِي أميرِ المؤمِنينَ يُنادِي: لا تَخلُطُوا اللَّبنَ بالماء.

فَقالَت الأُمُّ: فَأينَ أنـتِ مِـنْ عُمَـرَ ومُنَـادِي عُمَـرَ، قُـومِيْ فَاخلُطِي اللَّبنَ بالماءِ، فإنَّ عُمَرَ لاَ يَرَانَا.

فَقالَتِ البِنتُ لأُمِّهَا: مَا كنتُ لأُطِيعهُ في العلاَنِيَـةِ وأَعصِـيْهِ في السِّرِّ، وَإنْ كَانَ عُمَرُ غَائباً لا يَرَانَا، فإنَّ اللهَ حاضِرٌ يرَانَا.

سَمعَ أميرُ المـؤمِنينَ هـذَا الحِـوارَ فأُعجِـبَ بهـذِهِ الفتـاةِ، وَعرَفَ البيتَ، ثُمَّ جاءَ إليهِ فِـي الصَّـباحِ، وَاختـارَ هـذِهِ الفتـاةَ الصَّالحةَ لِتكُونَ زَوجةً لابنِهِ عَاصِمٍ، مُكافـأةً لهَـا علَـى وَرَعِهَـا وَتقْوَاهَا. [ابن عساكر].

يَقولُ النَّبيُّ ﷺ: «الإحسَانُ أنْ تعبُدَ اللهَ كأنَّكَ تَرَاهُ، فإنْ لَـمْ تكُـنْ تَـرَاهُ فإنَّهُ يَرَاكَ» [مسلم].

قَصَصُ الأَدبِ مَعَ اللهِ

خَلقَنَا اللهُ ـ سُبحانَهُ ـ وتَعالَى وأنعَمَ عَلينَا بِنِعَمٍ كَثيرةٍ لا تُعَدُّ ولاَ تُحْصَى، وهُوَ المُطَّلعُ عَلينَا في جميعِ أحوَالِنَا؛ يَسمَعُنَا ويَرَانَا ويَعلَمُ سِرَّنَا ونجوَانَا، وهُوَ اللَّطيفُ بِنَا الرَّحيمُ بجميعِ خلْقِهِ، كمَا أنَّهُ سُبحانَهُ قوِيٌّ شَديدُ العِقَابِ، يُحاسِبُ الخَلائِقَ علَى أعمالِهِمْ وَيجزِيهِمْ عَليهَا.

وَواجِبٌ عَلينَا أنْ نتأدَّبَ معَ ربِّنَا ـ سُبحانَهُ وتَعالَى ـ ، فَنعمَلَ دَائماً علَى تَحقيقِ العُبوديَّةِ الخَالصَةِ للهِ ـ سُبحانَهُ ـ ، وَنشكُرَهُ علَى نِعَمِه الكثيرةِ وآلائِهِ العَظيمةِ وَنستَحيِي مِنْهُ ـ سُبحانَهُ ـ أنْ نَعصِيَهُ، بَلْ نُطِيعَهُ فِي كُلِّ أوامرِهِ، وَنصْدُقَ فِي التَّوبَةِ إليهِ، وَنحسِنَ التَّوكُّلَ والاعتِمَادَ عَليهِ، كمَا أنَّنَا نَرْجُو رحمَتَهُ ونخَافُ عذابَهُ.

وَهذهِ بعضُ الآدابِ التي يَتحَلَّى بهَا المُسلِمُ فِي علاَقتِهِ معَ ربِّهِ سُبحانَهُ.

* * * *

سلسلة قصص في الآداب

٨١٠٠٥٥